٢- روميل فى شمال إفريقيا

بعد الانتصارات الباهرة التى حققتها ألمانيا فى أوربا التى بلغت ذروتها بإخضاع فرنسا لسيطرة الجيوش الألمانية ، ازدادت أطماع هتلر ولم يكتف بسيطرة ألمانيا على معظم دول أوربا فامتدت أطماعه نحو شمال إفريقيا المتاخم لجنوب أوربا .

وكانت إيطاليا تحتل الأراضى الليبية منذ عام ١٩١١ بعد أن كانت قد انتزعتها من السيادة التركية ، وأراد موسولينى أن يركب موجة الحرب العالمية الثانية بتحالفه مع ألمانيا لانتزاع مصر من براثن الاحتلال البريطانى ، ولكن تسليح الجيوش الإيطالية كان ضعيفًا متخلفًا خصوصا فى المدرعات والمدفعية والطائرات وكانت تعتمد على جنود المشاة المترجلين أو الذين تحملهم السيارات غير المدرعة ، ولم تخض القوات المسلحة الإيطالية معارك عسكرية ذات شأن فى العصر الحديث ، وعندما شرعت القوات العسكرية الإيطالية فى غزو مصر شرقا انطلاقا من الأراضى الليبية لم يكن فى صحراء مصر الغربية أى قوات عسكرية إنجليزية فيما عدا أعداد قليلة من حرس الحدود فتقدمت القوات الإيطالية بقيادة الجنرال جرازيانى فى سبتمبر ١٩٤٠ حتى وصلت إلى سيدى برانى واتخذ منها جرازيانى قاعدة عسكرية زودها بكثير من المؤن ووسائل الترف والتسلية لضباطه وجنوده ولم يغادرها نحو الحدود المصرية حتى فاجأته القوات البريطانية بقيادة الجنرال أوكونور فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٠ ، ولم تجد القوات الإنجليزية أى صعوبة فى تطويق القوات الإيطالية فى سيدى برانى وأسرت (١٣٠) ألف مقاتل واستولت على (٤٠٠) دبابة وعدد (١٢٠٠) مدفع وانسحب الإيطاليون من سيدى برانى وتابعوا انسحابهم إلى برقة ثم إلى العقيلة وطرابلس الغرب التى بدأ

الإنجليز حصارها فى يوم ٧ فبراير سنة ١٩٤١ إلا أن القيادة العليا طلبت من الجنرال أوكونور التوقف عند هذا الحد لرغبة تشرشل فى سحب قوات من شمال إفريقيا لمساندة اليونان ضد أى هجوم ألمانى محتمل الحدوث فى أى وقت آنذاك .

وفى يوم ٦ فبراير سنة ١٩٤١ استدعى الفوهرر أدولف هتلر إروين روميل الذى كان يقضى إجازة فى ألمانيا إلى مقر قيادة الفوهرر حيث أمره الفيلد مارشال براوخيتش رئيس أركان حرب قيادة هتلر العسكرية بالتوجه إلى شمال إفريقيا على رأس فرقتين من دبابات البانزر لتدارك الموقف المنهار للقوات الإيطالية فى شمال إفريقيا ، ووصل روميل بالفعل إلى شمال إفريقيا يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٤١ وشرع على الفور فى استطلاع أرض المعركة بالطيران فوقها بطائرة حربية ووجد الجنرال الإيطالى جاريبولدى منهارا بسبب الهزيمة أمام البريطانيين دون أى أمل فى الانتصار عليهم .

وحاول روميل تحريك بعض التشكيلات الإيطالية للدفاع عن طرابلس ولكنه كان قد تأكد من عدم جدواها ، فطلب روميل من الجنرال الألمانى فريهلنج قائد سلاح الطيران فى إفريقيا القيام بهذا الواجب بتكثيف الطيران الألمانى حول طرابلس وضرب أى قوات بريطانية تحاول الاقتراب منها .

وفى يوم ١٤ فبراير ١٩٤١ وصلت إلى ميناء طرابلس أول الوحدات الألمانية (كتيبة استطلاع وكتيبة مدفعية مضادة للدبابات) وتم دفع الكتيبتين إلى «سرت» فى يوم ١٦ فبراير ١٩٤١ بالتعاون مع قوات «سانتا ماريا» الإيطالية وكتب روميل إلى زوجته مايلى : «عزيزتى لو : كل شىء على ما يرام وأرجو أن أنجح فى كل مشاريعى . أنا بخير ، وليس هنا ما يدعو إلى القلق . أمامى الكثير. قمت بالتعرف على كل ما حولى» .

وأكدت تقارير الاستطلاع الألمانية وجود قوات بريطانية فى العقيلة وأجدابيا ،

وتحركت لمواجهتهم كتيبة الاستطلاع الألمانية وكتيبة المدفعية المضادة للدبابات مع كتيبة سانتا ماريا الإيطالية ، ودمرت القوات الألمانية الإيطالية عربتين من عربات الاستطلاع وتم أسر ثلاثة جنود إنجليز ومعهم أحد الضباط الإنجليز . وقامت وحدة للمهندسين الألمان بزرع حقل ألغام فى مضيق «موجتا» ، ولم يظهر بعدئذ أى أثر لأى قوات بريطانية تقترب من طرابلس .

وتم استدعاء روميل إلى مقر قيادة هتلر ووصلها يوم ١٩ مارس حيث سلمه رئيس أركان الجيوش الألمانية الفيلد مارشال براوخيتش وسام أوراق الغار المحيطة بالصليب الحديدى تقديرا من الفوهرر لإنجازات روميل الرائعة فى اختراق الجبهة الفرنسية .

وأبلغ براوخيتش روميل أن جبهة شمال إفريقيا غير مهمة فى ذلك الوقت وليس لروميل أن يتوقع الإمداد بقوات كبيرة ، وكل المطلوب من روميل هو مساندة الإيطاليين كى يثبتوا فى مواقعهم بحيث لا يسيطر الإنجليز على مساحات هائلة من شواطئ البحر الأبيض جنوب أوربا لما فى ذلك من خطورة على مستقبل العمليات فى جنوب أوربا» .

ومن الواضح أن الفوهرر كان قد بدأ يهتم بشمال إفريقيا وبموقع مصر الاستراتيجى وبدأ يتطلع إلى حرمان بريطانيا من استخدام موقع مصر كما تطلع إلى ذلك نابليون بونابرت من قبل خصوصا وقد ازدادت أهمية موقع مصر الاستراتيجى بعد حفر قناة السويس التى أصبحت طريقا لقدوم الجنود الهنود والاستراليين لكى ينضموا إلى الجيوش البريطانية التى تحارب ألمانيا فى مختلف الميادين ، ولكن هتلر فى ذلك الوقت كان يحاول تجميع أكبر قدر من القوات الألمانية للهجوم على روسيا وتنفيذ خطة بربروسا الشهيرة .

وذكر روميل لرئيس الأركان أهمية مسرح شمال إفريقيا وضرورة الاحتفاظ

بقاعدة بنى غازى واستعادة طبرق من أيدى الإنجليز كقاعدة للقوات الألمانية على الشاطئ الجنوبى للبحر المتوسط ومن ثم كنقطة ارتكاز للقوات الألمانية فى جنوب أوربا حتى لا يكون البحر المتوسط بحيرة بريطانية . وإذا كان القضاء على القوات البريطانية هدفا لألمانيا فلقد ضاعت الفرصة التى كانت سانحة بعد القضاء على القوات البريطانية فى دنكرك ثم مهاجمة بريطانيا بقوات برية فى عام ١٩٤١ بدلا من الهجوم عليها بالطيران كما أشار بذلك جورنج . وأوضح روميل أهمية مسرح العمليات فى شمال إفريقيا ليس بغرض مساندة القوات الإيطالية ومساعدتها على مجرد البقاء فى ليبيا فلا يطردها الإنجليز منها ، ولكن للتقدم منها لانتزاع مصر ثم فلسطين وسوريا والعراق من أيدى الإنجليز والفرنسيين للوصول إلى الأراضى الروسية من حدود روسيا الجنوبية بالإضافة إلى غزو روسيا من حدودها الغربية المتاخمة لألمانيا . كان الطموح الألمانى فى نشوة الانتصار على فرنسا عام ١٩٤١ قد وصل بكل من روميل وهتلر إلى هذا الحد ، وكل الفرق بينهما كان يتصل بالفارق فى التوقيت فحسب . روميل يريد إمداده بالقوات والعتاد اللازم بسرعة ، وهتلر يرجئ ذلك إلى مرحلة تالية لا تزيد على ستة شهور ، وهى المدة التى كان هتلر يعتقد أنها كافية لكى تجتاح جيوشه كل الأراضى الروسية ليتخلص العالم من الشيوعية الروسية التى تنازع النازية فى عقر الديار الألمانية ذاتها . كان هتلر يكره الشيوعية والشيوعيين ، واليهودية واليهود ، والمسيحية والمسيحيين ولم يكن يهتم بالإسلام والمسلمين . كان هتلر يهتم فحسب بأن تكون ألمانيا فوق الجميع وبأن تسيطر ألمانيا على الجميع فى كل أنحاء العالم فى إطار من الأحلام الهتلرية المجنونة ساعد على ازدياد جنونه بها الانتصارات العسكرية الألمانية فى مستهل الحرب العالمية الثانية.

وعلى كل حال وعد رئيس أركان حرب الجيوش الألمانية روميل أنه ستصله فرقة بانزر جديدة فى القريب العاجل . وعليه أن يعرض خططه العسكرية قبل الشروع فى تنفيذها على قيادة الأركان الألمانية وذلك فى يوم ٢١ أبريل ١٩٤١ .

كان رئيس أركان حرب الجيوش الألمانية يعطى هذه التعليمات إلى الفيلد مارشال إروين روميل وهو جالس إلى مكتبه فى برلين بطبيعة الحال ، ولكن روميل كان قد استطلع أرض ميدان المعركة الصحراوى فى شمال إفريقيا بنفسه، ودرس موقف قواته والقوات الإيطالية الصديقة والقوات الإنجليزية المعادية المتربصة، فهل تكون تعليمات رئيس أركان حرب الجيوش الألمانية ملزمة له بالمعنى الضيق للالتزام بالأوامر والتعليمات العسكرية ؟

وهنالك بطبيعية الحال على الدوام فَرْقٌ كبير بين القادة العسكريين الذين يتعاملون مع المعارك الحربية وهم جلوس إلى مكاتبهم فى المدن أو فى العاصمة وبين القادة العسكريين الميدانيين العاملين فى صميم أرض المعارك الحربية . يزداد هذا الفارق المهم خطورة وأهمية إذا لم يصغ القادة الجالسون إلى المكاتب إلى آراء ومطالب القادة الموجودين مع جنودهم فوق صميم أرض المعارك الحربية وتقل خطورة هذا الفارق المهم وتتضاءل أضراره لو كان لدى القادة الجالسين إلى المكاتب فى المدن بعيدا عن أرض المعركة خبرات سابقة بذات أرض المعركة خصوصا عندما يضعون فى اعتبارهم ونصب أعينهم آراء وملاحظات ومطالب القادة العاملين فى صميم ميادين المعارك الفعلية .

وكان هنالك بطبيعة الحال مقومات شخصية الفيلد مارشال إروين روميل التى تتسم بالذكاء والنظرة الثاقبة والجرأة والحسم فى اتخاذ القرار العسكرى المناسب للموقف الفعلى الموجود فى أرض المعركة ذاتها .

كان روميل دائما فى طليعة التشكيلات القتالية الألمانية فى المعارك التى

خاضتها الفرقة السابعة فى الحرب ضد فرنسا سنة ١٩٤١/٤٠ إلى حد أن رئيس أركان حرب الفرقة شكا من ذلك إلى قيادة الفيلق ونشب بينه وبين روميل خلاف حول الصواب والخطأ فى أن يكون القائد شخصيا فى الصف الأول من جنوده المقاتلين إلى حد أن روميل كان يترجل وينزل من دبابات القيادة ويمشى على قدميه إلى حد الدخول فى خطوط الأعداء ليرى الموقف على الطبيعة بنظارة الميدان مكتفيا باتخاذ ساتر بسيط يصادفه إلى حد أزعج رئيس أركان حرب فرقته خوفا على حياة روميل معترضا على هذا الأسلوب فى القيادة وشكاه فى تقرير له إلى قائد الفيلق ، وتم حسم الخلاف لصالح وجهة نظر روميل بطبيعة الحال . هذا هو الفيلد مارشال إروين روميل ، وهذا هو أسلوبه فى القيادة .

وكان هنالك أيضا طموح روميل العسكرى وثراء خياله العسكرى ، وهو الطموح والخيال العسكرى الخصب الذى لفت إليه أنظار هتلر والقيادات العسكرية الألمانية كلها ، بل العالم كله .

كانت فرقة روميل فى الحرب ضد فرنسا هى رأس الرمح وهى التى تسبق كل التشكيلات القتالية الألمانية بقضها وقضيضها ، وهى التى تفتح الثغرات فى الخطوط الدفاعية للقوات المعادية وتعمل على توسيع الثغرات وتعمل على عبور الموانع المائية وغير المائية والسبق إلى احتلال المواقع الاستراتيجية وإزاحة القوات المعادية عنها بالرغم من شدة دفاع القوات المعادية عن تلك المواقع القتالية الاستراتيجية . ولكل هذه الأسباب كان هتلر وكبار القادة العسكريين الاستراتيجيين الألمان يعتبرون روميل هو أعظم القادة الألمان فيما يتعلق بشأن قيادة المعارك الفعلية فى صميم أرض المعركة ، ولكل هذه الأسباب تم اختيار الفيلد مارشال إروين روميل لقيادة فيلق شمال إفريقيا عندما برزت أهمية شمال إفريقيا الاستراتيجية .

كان روميل يدرك أهمية تدخل ألمانيا عسكريا فى شمال إفريقيا . لماذا ترسل ألمانيا قوات كبيرة من الجيش الألمانى إلى شمال إفريقيا ؟ هنالك بالطبع أسباب قوية لذلك . وكان روميل يدرك هذه الأسباب . وكان روميل بخياله العسكرى الخصب يمتد إلى ما هو أبعد من ذلك . كان خيال روميل الخصب يمتد إلى دلتا النيل ذاتها وإلى فلسطين وسوريا والعراق لتصل القوات الألمانية إلى جنوب شرق روسيا .

ألا تريد ألمانيا السيطرة على العالم ؟ شمال إفريقيا هى بداية الطريق الآخر المفضى إلى سيطرة ألمانيا على العالم ، وهو الذى سيقود الفيلق الألمانى فى شمال إفريقيا فى هذا الطريق . وليس هذا مجرد ظن أو تخمين .

فى يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٤١ ، فور وصول روميل إلى جبهة شمال إفريقيا، وبالتحديد بعد ٢٧ ساعة من وصوله إليها كتب روميل إلى زوجته رسالة يقول فيها : «عزيزتى لو : كل شىء على مايرام . أرجو أن أنجح فى كل مشاريعى . أنا بخير ... الخ» .

يقول إنه كان يرجو أن ينجح فى كل مشاريعه . كانت لديه إذن «مشاريع» . وماذا عساها أن تكون هذه المشاريع التى كانت تخطر فى ذهن الفيلد مارشال إروين روميل ؟ من ذات المكان الذى نزل فيه روميل مع الفيلق الألمانى وصل الإسكندر الأكبر إلى صميم أراضى الإمبراطورية الفارسية بأرض العراق الحالية حيث نهر دجلة ونهر الفرات . وليس تاريخ الإسكندر الأكبر مجهولا لدى قائد عسكرى ألمانى مثل الفيلد مارشال إروين روميل بطبيعة الحال .

وليس هذا هو الشاهد الوحيد على وجود مثل هذا الخيال الجامح لدى إروين روميل . توجد فى مواضع أخرى من مذكراته ما يؤكد ذلك كل التأكيد خصوصا عندما كان روميل يشعر بالمرارة من جراء قلة الإمدادات الألمانية له بالجنود والعتاد الحربى .

وفى يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٢ كتب روميل إلى زوجته يقول : «عدت فى الليلة الماضية من طبرق ... والظاهر أن كل شىء على مايرام .. سيصل «شتوما» إلى روما اليوم ، وأرجو أن أسافر خلال أسبوع . وقد وصل «كسلرنج» هذا الصباح من مقر قيادة الفوهرر . يبدو أن المعركة فى «ستالينجراد» صعبة للغاية وهى تستنفد قوات كبيرة كان يمكن أن نستخدمها بطريقة أكثر نجاحا هنا فى شمال إفريقيا» .

وتوجد شواهد أخرى كثيرة فى مذكرات روميل تؤكد مدى طموحه وآماله التى كان يهدف إليها انطلاقا من شمال إفريقيا . لم تكن «طرابلس» أو «برقة» أو «طبرق» هى هدف روميل أبدا . كانت أهداف وآمال روميل أكبر من ذلك بكثير ، وحالت قلة الإمدادات العسكرية الألمانية والإيطالية دون تحقيق هذه الأهداف ، وقضت صعوبات «اللوجستيك» على براعة وكل آمال «التكتيك» !

ولم يكن الفيلد مارشال إروين روميل بالقائد العسكرى الذى يقبع مثل البطة فى طرابلس حتى يحشد البريطانيون قوات كافية لطرده منها كما قبع الجنرال الإيطالى «جريزيانى» فى «سيدى برانى» حتى أزاحه البريطانيون منها ودمروا قواته وطاردوه حتى «طرابلس» خلال ثلاثة أشهر فقط سنة ١٩٤٠ .

ولذلك كان قرار روميل هو أن يعمل على الفور بالقوات المتاحة لديه للاستيلاء على «مرسى بريقة» وربما على «إجدابية» أيضا . وفى الساعة التاسعة صباح يوم ٣١ مارس سنة ١٩٤١ كانت كتيبة الاستطلاع الألمانية الثالثة تهاجم وحدات الاستطلاع البريطانية فى «مرسى البريقة» معلنة بداية هجوم روميل المفاجئ باتجاه «طبرق» . وبعد قليل ، وقبل ظهيرة يوم ٣١ مارس ١٩٤١ كان الفوج الخامس المدرع الألمانى بقيادة المقدم «ألبرنج» يهاجم

الدفاعات البريطانية الرئيسية فى «مرسى البريقة» . التى كانت تعانى من هجوم طائرات «شتوكا» الألمانية عليها بالقنابل ، وسحقت قوات روميل المدرعة الدفاعات البريطانية فى مرسى البريقة بسرعة فائقة ، واستولت عليها تماما ، وأصدر روميل أوامره بالهجوم على «إجدابية» وبدأ انسحاب البريطانيين منها فور سماعهم أنباء سقوط «مرسى البريقة» .

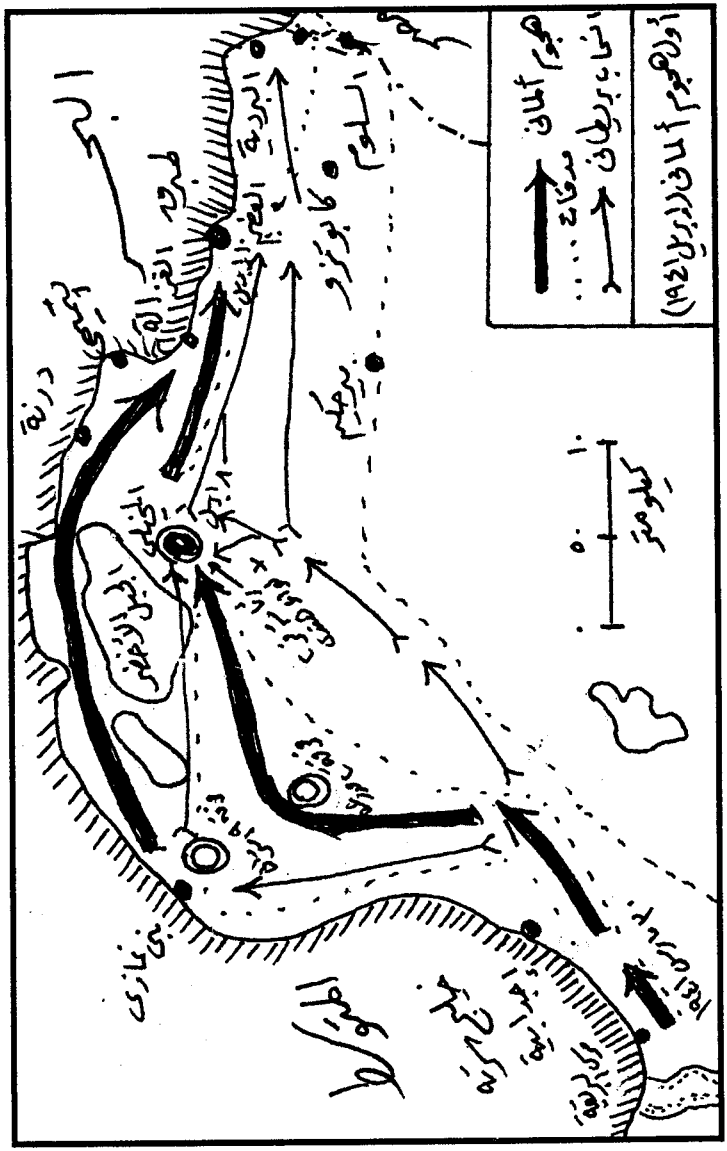

أخطأت القيادة البريطانية خطأين . اعتقدوا أن روميل لن يعمد إلى الهجوم وكل ما لديه هو فرقة واحدة ولابد أن ينتظر وصول فرقة أخرى . وكانت هذه هى تعليمات قيادة الأركان للجيوش الألمانية إلى روميل بالفعل . واعتقدوا أن روميل لن يتحرك فى رمال الصحراء حيث لا خبرة له بمعارك الصحراء ، وظنوا أنه سيتحرك على الطريق الساحلى الممهد الذى يصلح تماما لسير الدبابات ، ولكن روميل فاجأهم بعدم السير فى هذا الطريق فى بداية الهجوم ، وسلك روميل بقواته عَبْرَ الصحراء مستخدما مدق «بالبو» حيث كانت توجد مستودعات الوقود المشيدة تحت الأرض . ويدل هذا دلالة قاطعة على أن روميل كان يدرس ويستطلع أرض المعركة بكفاءة عالية ممتازة . وهكذا ضرب روميل خلال هذا التحرك الأول له الاستراتيجية البريطانية التى كانت ترتكز على تخزين البترول والذخيرة والمواد الغذائية فى مستودعات محفورة ومحصنة فى جوف الصحراء بحيث لا يعتمد الإمداد للقوات بها على الحملة المتحركة .

روميل يتفحص أحد المدافع فى حرب الصحراء

وقد قام الإنجليز أنفسهم بنسف المستودعات التى كانت موجودة فى «باسوس» خشية استيلاء روميل عليها . لقد تغير الموقف الحربى فى شمال إفريقيا جذريا بمجرد وصول روميل إليه .

وهاجمت دبابات ومدفعية ومشاة روميل «المخيلى» واستولت عليها ، وتقدمت القوات الألمانية والإيطالية المدرعة واجتازت «بنغازى» ووصلت إلى «درنة» حيث وقع الجنرال «أوكونور» والجنرال «نيم» البريطانيان فى أسر القوات الألمانية . وسقط فى أسر الألمان أيضا الجنرال «جامبير بارى» والميجور جنرال «فوجان» ومعهما ألفان من الصف ضباط والجنود وذلك فى موقع «المخيلى» .

زلزال عسكرى بالغ العنف والضراوة هز شمال إفريقيا ، وهز القيادة العسكرية البريطانية فى مصر وفى الشرق الأوسط وفى أوربا أيضا ، إذ أرسل ونستون تشرسل برقية إلى الجنرال ويڤل يقول له فيها : «اصمدوا فى طبرق» .

ولم يكن هتلر وحده كما أنه لم يكن روميل وحده هو الذى يدرك أهمية شمال إفريقيا بالنسبة إلى «أمن أوربا» وكذلك أهمية موقع مصر الاستراتيجى وقناة السويس ، وكذلك موقع فلسطين وسوريا والعراق بالنسبة إلى الشرق الأوسط وجنوب شرق أوربا حيث توجد اليونان وإيطاليا وتركيا وروسيا ؛ كانت بريطانيا أيضا تدرك أهمية كل هذه الاعتبارات المتعلقة بشمال إفريقيا وبالشرق الأوسط ، وكان ذلك هو السبب الأساسى فى شدة وطيس المعارك فوق صحارى شمال إفريقيا .

ولقد اقترح روميل على هتلر بالفعل أن يقوم روميل بالاستيلاء على طبرق وتقوم قوات ألمانية خاصة بالاستيلاء على قبرص ومالطة لكى يتخذ الألمان من طبرق وقبرص ومالطة نقاط انطلاق إلى مهاجمة فلسطين وسوريا والعراق فيتم بذلك حصار القوات البريطانية فى مصر دون التورط فى مصادمة معظم القوات البريطانية الموجودة فى مصر ، إذ أن القوات البريطانية الموجودة فى الشام والعراق قد تم حشدها داخل الحدود المصرية لمواجهة زحف روميل نحو مصر مما جعل الدفاع البريطانى فى الشام والعراق فى غاية الضعف ومن الممكن لروميل اجتياحه بسهولة فيما اقترح روميل على القيادة الألمانية .

وقد وردت هذه الحقيقة فى تقرير وضعه قائد الجيوش البريطانية فى منطقة الشرق الأوسط الجنرال أوكنلك برقم (٣٨١٧٧) بشأن احتمالات تطورات الموقف الحربى للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط وعلى الجبهة الإفريقية فى شهر أغسطس ١٩٤١ ، وتضمن ذلك التقرير مخاوف الجنرال أوكنلك من هذه الخطة التى اقترحها روميل على القيادة الألمانية . ولسوء حظ الألمان ، ولحسن حظ الإنجليز كان هتلر مهتما كل الاهتمام بالمعارك فى جنوب أوربا وفى روسيا، ولم يبد اهتماما كافيا بوجهة نظر روميل ، وظلت جزيرة قبرص وجزيرة مالطة فى أيدى الإنجليز ،واكتفى هتلر بأن أصدر أوامره باحتلال جزيرة «كريت» فقط لتأمين خطوط الإمداد لجيش روميل عبر البحر المتوسط ، ولكن تدخل الأسطول البريطانى الموجود فى قبرص ومالطة كان يزعج ويدمر خطوط إمداد فيلق روميل باستمرار من حين إلى حين آخر . ولو كان هتلر قد أعطى خطة روميل ما تستحقه من اهتمام لتغير وجه التاريخ . وكم كانت أخطاء هتلر الاستراتيجية خاطئة مؤذنة بضرورة هزيمة ألمانيا فى نهاية الحرب ، وهو ما حدث بالفعل .

واصلت قوات روميل الهجوم حتى وصلت إلى كابوتزو والسلوم يوم ١١ أبريل سنة ١٩٤١ . وكانت «طبرق» قد أبدت مقاومة عنيفة فتجاوزها روميل بقواته جريا على عادته فى توفير جهد قواته على أساس أنها ستسقط تلقائيا وتطلب الاستسلام بمجرد أن تتجاوزها القوات الألمانية . ولكن طبرق كانت تحصل على ما يلزم من سلاح وذخيرة ومؤن وأفراد عن طريق البحر المتوسط فواصلت الصمود .

وحاول روميل الهجوم مرة أخرى على طبرق حتى لا تكون شوكة فى ظهر قواته يوم ١٩ أبريل ١٩٤١ ، ولكن كانت المقاومة البريطانية شديدة فى طبرق ، ولم يستطع روميل اختراق خطوط الدفاع عن طبرق إلا فى يوم ٣٠ أبريل

١٩٤١ ، واستمر الهجوم الألمانى على طبرق حتى آخر مايو ، وتمكن الألمان من احتلال كابوتزو وممر حلفاية ، ونجحت قوات الچنرال ويڤل فى استرداد ممر حلفاية إلا أن روميل لم يسمح للإنجليز بالحصول على هذه الميزة لتعزيز صمود طبرق فاستعادت قوات روميل ممر حلفاية وكابوتزو بهجوم جديد فى يومى ٢٦ و ٢٨ مايو بعد قتال عنيف من أجل هذه الأهداف المتواضعة ، ولكن تلك هى حرب الصحراء ، والهدف منها هو تدمير قوات العدو بأكثر مما هو احتلال تباب ورمال .

وبدءاً من شهر مارس إلى آخر أبريل سنة ١٩٤١ كانت الفرقة المدرعة الخامسة عشرة الألمانية ، وعدد دباباتها ٤٠٠ دبابة مع مختلف أسلحة التدعيم الأخرى من استطلاع ودفاع جوى وإشارة ومشاة ومركبات قد وصلت إلى شمال إفريقيا وأصبحت تحت قيادة روميل لكى يصبح هو سيد الموقف العسكرى فى شمال إفريقيا .

وفى مواجهة هذا التطور أمر تشرشل بتزويد الچنرال ويڤل بما لا يقل عن ٢٩٥ دبابة جديدة عن طريق البحر المتوسط تحت حماية الأسطول البريطانى والطائرات الحربية البريطانية وازداد الصراع فى شمال إفريقيا ضراوة واحتداما .

وكان الچنرال ويڤل يحتاج بعض الوقت لتدريب جنوده على حرب الصحراء واستخدام الدبابات الجديدة ، ولكنه فى يوم ١٥ يونيه ١٩٤١ بدأ يشن الهجوم الإنجليزى المضاد فى أعنف معركة دبابات جرت فى شمال إفريقيا حتى ذلك الحين وهى معركة «باتل آكس» .

ويقال إن خريطة للهجوم كان روميل قد رسمها ووقع عليها البيانات بخط يده وصلت إلى يد الچنرال البريطانى أوكنلك كانت السبب فى التعجيل بالهجوم البريطانى على المواقع الألمانية كضربة إجهاض لقوات الفيلق الألمانى فى أعقاب صد هجومه على البريطانيين فى طبرق . ولكن روميل لم يهجم على

طبرق ، وحث تشرشل القيادة البريطانية فى مصر على ضرورة بدء الهجوم للقضاء على الفيلق الإفريقى الألمانى فى شمال إفريقيا ، وبدأ الهجوم البريطانى بالفعل واكتسح المواقع الأمامية الألمانية فى حلفاية والسلوم وصمدت التشكيلات الألمانية للهجوم البريطانى وتكبد البريطانيون خسائر فادحة من المواقع الألمانية بفضل استخدام الألمان للمدفع المضاد للطائرات عيار ٨٥ مم فى الضرب على الدبابات البريطانية ، وكانت كل طلقة مدفع تدمر دبابة بريطانية ، وكان هذا المدفع الذى كان يتميز بجهاز تنشين للضرب على الطائرات يصلح تماما من حيث عياره وشدة انفجار واختراق داناته لتدمير الدبابات إلى جانب كفاءته عند استخدام الطلقات (ش ف) المضادة للطائرات أيضا ، وهو السلاح الذى جعل لقوات الفيلق الألمانى تحت قيادة روميل اليد العليا فى معارك الصحراء إلى حد كبير وكان هذا المدفع هو السبب الرئيسى فى فشل الهجوم البريطانى فى معركة باتل آكس فى شهر نوفمبر سنة ٤١ .

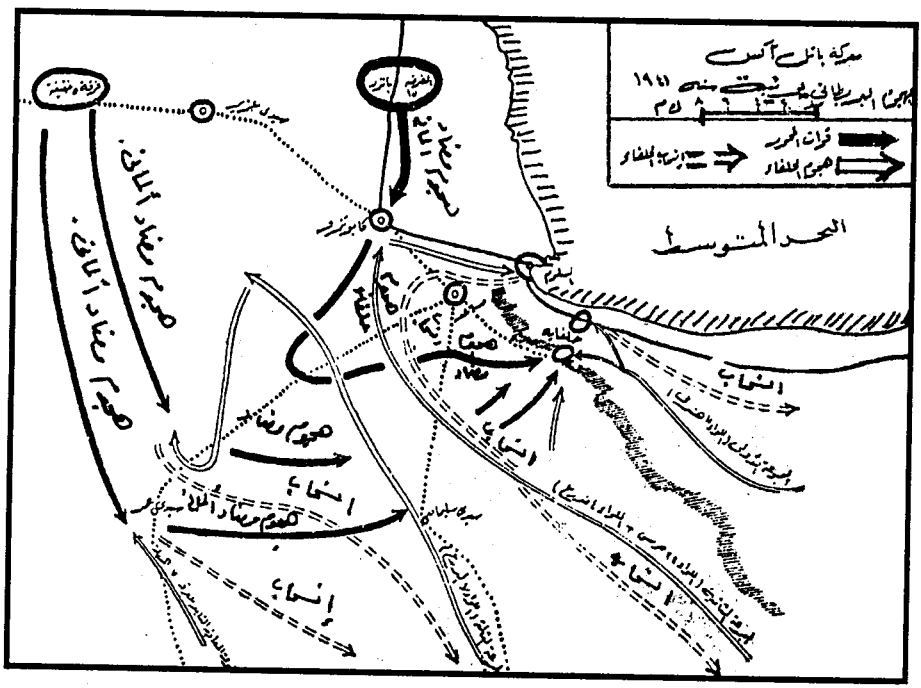

وفور فشل الهجوم البريطانى فى معركة باتل آكس قرر روميل على الفور القيام بتنفيذ خطة هجومية وأسرع بقوات كبيرة مخترقا الصحراء لكى يسبق القوات البريطانية المنسحبة شرقا حتى وصل إلى السلوم وسيد سليمان لكى يقطع خط الرجعة على قوات الجيش البريطانى الثامن ويدمرها لينفتح الطريق أمامه إلى دلتا النيل عندما لا يكون لدى البريطانيين قوات كافية للوقوف فى طريق تقدمه فى الأراضى المصرية .

هذا على الجانب الألمانى ، وعلى الجانب البريطانى وصل الچنرال أوكنلك إلى قيادة الجيش الثامن وقام بتوبيخ ولوم الچنرال كننجهام قائد قوات الجيش الثامن البريطانى بسبب انسحابه بالقوات البريطانية إلى مسافات طويلة والشروع فى العودة بها إلى دلتا النيل . فشل الهجوم . هذا ممكن . لماذا الانسحاب إلى الوراء عشرات الأميال ؟ هذا هو الخطأ الذى يعرض القوات البريطانية لخطر التدمير ، ويعرض الدلتا وقناة السويس للضياع عندما تصل قوات روميل سليمة بقضها وقضيضها إلى دلتا النيل كما يرغب روميل فى ذلك ويشتهيه لولا تصدى قوات الجيش الثامن البريطانى له ووقوفها فى طريقه .

وقام الچنرال أوكنلك على الفور بعزل الچنرال كننجهام من قيادة الجيش الثامن وأسند قيادة هذا الجيش إلى الچنرال ريتشى وأمر بوقف انسحاب قوات الجيش الثامن من الصحراء الليبية والصحراء الغربية وضرورة البقاء فى مواقعها الحالية لإعادة التنظيم ومعاودة الهجوم على قوات روميل لتدميرها ، وهو الهدف الذى تحارب بريطانيا فى شمال إفريقيا من أجله ومن المستحيل التخلى عنه . لابد من وجهة النظر البريطانية تدمير قوات الفيلق الألمانى بقيادة روميل وإلا تضيع دلتا النيل وقناة السويس والشرق الأوسط بأسره من سيطرة بريطانيا .

وكان قرار الچنرال البريطانى أوكنلك صحيحا وسليما إلى أقصى حد . وصدرت الأوامر بوقف الانسحاب وتعزيز المواقع واحتلال مواقع دفاعية جديدة ، وبالفعل كانت هذه المواقع الدفاعية القوية هى السبب المباشر فى صد الهجوم المضاد الذى كان روميل يريد أن يقطع به طريق انسحاب الجيش الثامن من

معركة باتل آكس إذ وجد مقاومة عنيفة من القوات البريطانية وكاد روميل نفسه يقع فى الأسر إذ اضطرته ظروف المعارك التصادمية إلى السير على قدميه فى أرض تسيطر عليها قوات بريطانية لولا أن عثر عليه رئيس أركانه العقيد فرتيز بايرلين وركب معه روميل سيارته وكانت سيارة استولى عليها الألمان من الإنجليز فلم يرتب البريطانيون فى أن روميل ورئيس أركانه موجودان داخل هذه السيارة البريطانية الطراز . وكان ذلك من حسن حظ روميل آنذاك .

ومن الجدير بالذكر أيضا أن روميل وجد نفسه يمر بمستشفى بريطانى مقام فى الصحراء ، وهى بطبيعة الحال عبارة عن خيمة كبيرة بها أطباء ورجال تمريض وأدوات طبية وأدوية وجنود بريطانيون يتلقون العلاج والإسعافات الأولية. وأوقف روميل سيارته ، وأمر السائق أن يقف بالسيارة فى الجانب الآخر من المستشفى ، ودخل روميل إلى المستشفى وسأل أقدم رتبة فى الأطباء ما إذا كان يحتاج أدوية وإمدادات طبية ، وصافح الموجودين الذين أدوا له التحية العسكرية يدا بيد وهو يبتسم . وكان من المفهوم لدى الجميع أن قوات روميل تحتل هذه المنطقة من الصحراء بدليل أن روميل بنفسه يتفقد المستشفى البريطانى الميدانى ويوصى بأن يتحول الأطباء والعاملون به لعلاج الألمان والجنود البريطانيين الأسرى ويعدهم بأنه سيأمر بوصول إمدادات طبية إليهم . وغادر روميل المستشفى البريطانى وهو يبتسم ، ولم تكن هناك قوات ألمانية تسيطر على المنطقة، وكان روميل قد ضل طريقه وكان لا يزال يبحث عن الاتجاه الصحيح لكى يعود إلى المكان الذى توجد فيه قواته الألمانية بعد فشل هجومه المضاد فى بلوغ أهدافه التى كان يرجوها روميل. وعاد روميل سليما إلى منطقة بدء الهجوم بالقرب من طبرق ليحاول من جديد فرض حصار ألمانى حولها .

وهكذا مضت حرب الصحراء بين الفيلق الألمانى بقيادة روميل وبين قوات الجيش الثامن البريطانى بين مد وجزر هجوم ودفاع ثم هجوم مضاد . تقدم نحو الحدود المصرية وتراجع نحو طرابلس الغرب . ولا يكاد أى مكان فى الأراضى الصحراوية تكون له قيمة كبيرة تستحق كل هذه الخسائر ، ولكن الصحارى مجرد طريق يحاول المهاجم أن يجتازه إلى أهداف وراءه ، ويحاول المدافع أن يقطع الطريق فى ذات الصحارى على المهاجم ويدمر قواته المهاجمة وهى لا

تزال على رمال الصحراء حتى لا تبلغ القوات المهاجمة أهدافها لو اجتازت الأراضى الصحراوية دون أى مقاومة ، ولكن روميل اكتسب مهارة فائقة فى تلك الحرب الصحراوية مما جعله ينال إعجاب البريطانيين إلى حد أن أصدر الچنرال أوكنلك أمر قيادة للحد من إعجاب جنوده بالفيلد مارشال روميل وفيما يلى نص هذا الأمر باللغة الإنجليزية .

TO : ALL COMMANDERS AND CHIEFS OF STAFF FROM : HEADQUARTERS, B.T.E. AND M.E.F.

There exists a real danger that our friend Rommel is becoming a kind of magician or bogey-man to our troops, who are talking far too much about him. He is by no means a superman, although he is undoubtedly very energetic and able. Even if he were a superman, it would still be highly undesirable that our men should credit him with supernatural powers.

I wish you to dispel by all possible means the idea that Rommel represents something more than an ordinary German general. The important thing now is to see to it that we do not always talk of Rommel when we mean the enemy in Libya. we must refer to "the Germans" or "the Axis powers" or "the enemy" and not always keep harping on Rommel.

Please ensure that this order is put into immediate effect, and impress upon all Commanders that, from a psychological point of view, it is a matter of the highest importance.

(Signed) G.J.AUCHINLECK,

GENERAL,

*COMMANDER-IN-CHIEF, M.E.F.**